**المحور الخامس**

**الإسلام في منطقة الغابات الإفريقية**

**مقدمة:**

على خلاف عدة مناطق من العالم فإن حركة انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء اكتست طابعا سلميا وهادئا و متدرجا، بينما بقيت منطقة الغابات الاستوائية في أدغال إفريقيا مستعصية عليهم، بسبب عوامل جغرافية و استراتيجية، بالإضافة إلى ذلك الحاجز الطبيعي والحضاري و حتى طبيعة شعوبها العدائي للعنصر الأجنبي، الذي جعل هذه المناطق تبقى بعيدة عن مرمى الدعاة المسلمين وظل سكانها بعيدين عن أي تأثير إسلامي إلى غاية القرن الخامس عشر أن بدأت أول الاحتكاكات بين المسلمين و تلك الشعوب، عن طريق حملات قام بها الاسقيا محمد التوري على مملكة الموشي فير نهر الفولتا، ضد ممالك لموشي، حيث اقتحم عالم الغابات المعزول الموحش و غزاهم، لكن تلك الحملات لم تتمكن من تثبيت أركان الإسلام تلك الغابات الكثيفة، لتبقى منطقة الغابات وفية لوثنيتها إلى غاية القرن السادس عشر عندما بدأت الطائفة من التجار المندي يتسربون اليهم محدثين ثورة حقيقية في تاريخ ومصير تلك الشعوب الحضاري، بفضل نشر عقيدة التوحيد إلى أواسط إفريقيا.

**المبحث الأول: الديولا و دورهم في نشر الإسلام في منطقة الغابات الإفريقية**

**أوَّلا: التعريف بطائفة الديولا:**

الديولا هي طائفة مهنية تنتمي إلى مجموعة شعب الماندينغ، وهم تجار متنقلون عرفوا باحتكارهم لتجارة الذهب و الكولا، داخل الغابات الافريقية. وينحدر"الديولا (Dioula) أو " الجيولا"، من سلالة السوننكي الذين يعتبرون فرعا من شعب الماندينغ (**[[1]](#footnote-2)**)ولكنهم انفصلوا عنهم قبل أن يختلطوا مع شعوب الساحل من ساميين وبربر مورسكيين (الطوارق)، وهو ما جعلهم يحتفظون بنمطهم المندي الأصيل، فلغتهم تختلف عن المالنكي وعن كثير من لغات جيرانهم المندي. و يؤكد الديولا أنفسهم هذه الأصالة من خلال قولهم بأن كلمة "ديولا" تعني عمق السلالة المندية**.** بينما يؤكد الرحالة بنغر بأن كلمة الديولا تطلق على المندي الموجودين في منطقة كونغ في كوت ديفوار سواء أكانوا تجارا أم لا.

إن الشيء الذي لاحظته عند دراستي لهذا الشعب هو ذلك الخلط الذي وقع فيه كثير من المؤرخين بالنسبة للمالنكي و الديولا، فمنهم من يقول بأنهما شعبا واحدا و يختلفان في الاسم فقط، ومنهم من يجعلهما شعبين مختلفين بحيث يتفرعان من ماندينغ الوسط.

لكن يبدو لي أن ديولا أو"جولا" هم عبارة عن مجموعة من العشائر المجتمعة في شكل قرى، والتي تنتمي إلى شعب المالنكي، كما أنهم تمركزوا على شكل جاليات صغيرة في المراكز التجارية الهامة و نقاط عبور القوافل التجارية التي تخرج من مالي باتجاه مناجم الذهب في "بامبوك" و"غالام" أو باتجاه الغابات الاستوائية، ذلك لأن ديولا يمتهنون التجارة المتجولة، حيث أن كلمة ديولا في لغة المانكي تعني تاجرا**.**(**[[2]](#footnote-3)**)

وبسبب نشاطهم التجاري هذا فقد عرفهم بعض المؤرخين بكونهم طبقة من التجار في مملكة مالي الإسلامية وذلك لأنهم كانوا يتجهون بتجارتهم إلى ما وراء الحدود السياسية لإمبراطورية مالي، حيث كانوا يخترقون الغابات البعيدة في جنوب نهري النيجر و غمبيا العلويين بحثا عن مصادر جديدة للذهب و العاج و نبات الكولا الذي يعد سلعة مطلوبة جدا بالنسبة لكل سكان السودان الغربي بسبب فوائدها الصحية باعتبارها مادة منشطة.

وقداعتنق الديولا الإسلام في وقت مبكر، واتخذوا نظاما عشائريا**.** وعندما بلغت الإمبراطورية المالية أوج قوتها خلال القرن السادس للهجرة/13م، اتخذوا منها قاعدة تجارية سمحت لهم بالتعامل مع العالم العربي الإسلامي، كما كسبوا مودة الملوك الأفارقة وأقاموا معهم علاقات جيدة سمحت لهم بممارسة نشاطهم كمفاوضين تجاريينـ

**و** يشير "موريس دولافوس (Maurice delafosse)(أنه من الصعبتحديد الوقت أو الظروف التي ظهر فيها المندي لأول مرة في الأرض التي يقطنونها الآن تحت اسم ديولا، كما يذكر بأن مختلف الأهالي في مناطق "كونغ Kong"، "غميني Guimini" و"غيامبالا guiambala " أو "ديامالا Dyamala" قد أخبروه بأنهم يجهلون تاريخ استقرارهم في هذه المناطق، فضلا عن أن الرواية الشفوية الأكثر شهرة في المنطقة تقول بأنهم قدموا من الغرب، و يذكر الرحالة بنغر بان الديولا ظهروا على مسرح الأحداث منذ سنة 1335م أي في السنة التي فر فيها سن على من مالي وأسس مملكة السنغاي الثالثة، واحتلاله لمعظم أراضي إمبراطورية مالي الإسلامية.و يقول الديولا عن أنفسهم بأنهم في الأصل كانوا يتشكلون من خمس عائلات فقط وهي داوو، كيرو، بارو، توري و واتارا، و أنهم ينتسبون كلهم إلى الإمبراطور المالي الشهير منسا سليمان كيتا. لكننا يمكن أن نجد مع الديولا عائلات أخرى مثل ديارا، كوليبالي، ساخو، بمبا، دياكيتي،و تلراوري، الذين ارتبطوا بهم عن طريق المصاهرة.

وتعتبر مدينة جني مهد الديولا، حيث أنهم كانوا يأتون منها إلى منطقة كونغ منذ عدة قرون من أجل ممارسة التجارة، وشيئا فشيئا وجدوا البلد مناسبا لهم فاستقرت بعض العائلات منهم، و نشرت من حولها تقاليدها و نمط لبسها وديانتها التي كانت الديانة الإسلامية. و قد نمت هذه المستوطنات الجديدة بفضل وصول مستوطنات مندية أخرى جديدة، وخاصة عندما تزوجوا مع نساء القبائل المحلية مثل"بوبو bobo"،" كبارهالا Kparhala"، أكني Agni" وخاصة "السينوفو Senoufo"، و من خلال زواج هؤلاء المندي مع نسوة من عناصر عرقية مختلفة ظهرت قبيلة ديولا.

فهي إذن لا تمثل العنصر المحلي الخالص كما يدعيه الديولا أنفسهم، بل يمكن أن نقول أيضا بأن الديولا الخالصين (الأقحاح) عددهم قليل جدا مقارنة بشعوب البلاد التي يسكنوها، لكنهم يتميزون بذكاء أكبر عموما من السكان الأصليين، كما يتميزون بعقلية متفتحة أكثر وأكثر ثقافة خاصة بعد اعتناقهم الإسلام.

كما أن الديولا الأصليين لا يضعون الوشم على أجسادهم عكس أولئك الذين ولدوا من زواج مختلط بين ديولا و سينوفو و الذين يدعون بـ"سورونغيSorongui" حيث يضعون وشما على خدودهم. و يقطن الديولا مراكز هامة شرق"باني (**[[3]](#footnote-4)**) و في فولتا العليا وغينيا العليا، ويعتبرون من كبار الرحالة التجار، حيث يفوقون في ذلك جيرانهم الونغارا إلى درجة أصبح فيها اسم ديولا يعني تاجرا.و يتمركز الديولا في المدن الهامة ضمن جاليات مجتمعة وسط السكان المحليين من المزارعين الوثنيين، وهو ما مكنهم من التضامن أكثر فيما بينهم وإقامة مجتمعات قائمة على أساس ديني وتجاري، وهذا ما زاد في قوتهم ودرجة تأثيرهم على السكان الذين يعيشون بينهم.

ولقد كانت جماعات الديولا تجوب السودان الغربي، وتسيطر على تجارة الذهب بفضل تميزهم بالصدق والأمانة والثقة، وسيطروا أيضا على تجارة نبات الكولا الذي كان يعد نباتا مقدسا لا يجوز لغيرهم تجارته. وكان هذا الامتياز قد تحصلوا عليه من ملوك مالي نظرا لعلاقتهم الوطيدة بهم، بالإضافة إلى أخلاقهم وأمانتهم. وفي المقابل كانوا يحصلون على النسيج والمصنوعات الزجاجية والجلود المدبوغة والملح. و بالموازاة مع نشاطهم التجاري كانوا يشكلون دعاة ماهرين للإسلام في المناطق التي يدخلونها، و خاصة المناطق الغابية الجنوبية ( ـ

كان المالنكي خلال العصور الوسطى شعبا محاربا كما أنهم كانوا يمثلون أيضا يمثلون شعبا منسجما، و يعد جزء من شعب الماندينغ الذي يضم ثلاث فروع هي البامبارا الديولا، والمالنكي من أهم الشعوب التجار في إفريقيا الغربية، حيث مارسوا الجارة مع الهوسا والسراكولي، بالإضافة إلى تجارتهم باتجاه المناطق الغابية الوثنية جنوبا أو باتجاه الصحراء شمالا، فقد كانوا يجوبون إفريقيا كلها في كل الاتجاهات من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب. و حملوا الذهب المجلوب من مالي إلى كل من غاو و تمبكتو كما جلبوا نواة الكولا من المناطق الغابية، فلقد كانوا يبيعون هذه السلع إلى التجار البربر والعرب. وبالمقابل كانوا يشترون قطع القماش والمصنوعات الزجاجية والملح القادم من الملاحات الصحراوية. وبفضل هذا النشاط التجاري الواسع تمكن الديولا من نشر ثقافتهم في مناطق بعيدة عن مواطنهم و خارج حدود دولهم فتوغلوا في أدغال الغابات و أسسوا مستوطنات و مقاطعات تجارية داخل الدول الوثنية مثل بوبوديولاسو (bobodioulasso) كونغ، بوندوكو (bondoukou) و غيرها.

**ثانيا: الديولا و دورهم في منطقة سنغمبيا:**

يبدو من خلال الشواهد الأثرية في سنغمبيا وخاصة في مضارب الولوف بمنطقة الكازامانس أن المنطقة كانت مأهولة بالسكان منذ الألف الأولى قبل الميلاد، و أن عملية استيطان المنطقة قد استمرت إلى غاية القرن الثالث للميلاد، حيث اقتصرت الحياة إلى غاية هذا التاريخ على وجود مخيمات صغيرة منصوبة على كثبان رملية.

و ابتداء من المائة الثالثة بعد الميلاد عرفت منطقة سنغمبيا هجرات أخرى عندما وصلت إليها شعوبا قادمة من الشرق حاملين معهم تقنيات جديدة في صناعة الأواني الفخارية وادخلوا على المنطقة زراعة الأرز في المياه المغمورة، لكن الهجرة الأهم تبقى تلك التي قدمت إليها من الجنوب والتي قام بها أسلاف الديولا الذين طردوا السكان الذين يقلون عنهم عددا وحلوا محلهم واحتلوا جميع الأودية الواقعة بين دلتا نهر الكازامانس و نهر السندروغو، كما احتلوا منطقة مصب نهر السنغال بالقرب من سان لوي، و نشروا زراعة الأرز المغمور في الماء و استخدموا المجارف اليدوية وبرعوا في صناعة الفخار، و اعتنوا بتربية الماشية، و بذلك انتعشت الحياة الحضرية في المنطقة وتطورت عما كانت عليه.

و كان الديولا يفضلون السفر على شكل جماعات حيث يحرصون دائما على حمل أسلحتهم الخاصة و خدمهم معهم. و كانوا يميلون إلى تشكيل مستوطنات خاصة بهم حول أطراف الغابات جعلوا منها مخازن لسلعهم التجارية، و مع مرور الوقت كوّنوا أسرا خاصة بهم بعدما اتخذوا من النساء المحليات زوجات لهم و انجبوا منهم أطفالا في تلك الغابات عكفوا على تعليمهم وتلقينهم العلوم الدينية عن طريق العلماء والفقهاء المسلمين.

كما انه ابتداء من القرن السادس عشر الميلادي ظهر عامل جديد في خليج غينيا ألا و هو تجارة الرقيق و الأسلحة النارية، و كان هذا الحدث عاملا مهما لتوغل الديولا باتجاه الجنوب في منطقة السافانا سواء كتجار أو كجنود أو كدعاة للإسلام، حيث كانت المنطقة تسوق فيها السلع التي يكثر عليها الطلب وبالتالي تمكن الديولا من إنشاء مراكز تجارية كبيرة على غرار مركز بيغو (Bégou).

و بهذه الطريقة تمكنوا من تأسيس مدن إسلامية وسط تلك الشعوب الوثنية والبدائية، فلقد تأسست بهذه الطريقة كل من مدينة كانكان في جمهورية غينيا الحديثة، و مدينة بوبو ديالاسو بجمهورية كوت ديفوار الحالية، بالإضافة إلى مدينة بيغو بجمهورية غانا الحديث. كما تمكن التجار الديولا من فتح تجارة الذهب بعد الوصول إلى مناجم وبي في بوركينا فاسو الحديثة، و في غابة الآكان في غانا الحديثة، بل وصلوا إلى غاية منطقة كانو بشمال نيجيريا أين استطاعوا تحويل حكامها إلى الإسلام، و بالتالي يكون دور الديولا في نقل الإسلام إلى نيجيريا حتى قبل درب القوافل التجارية السالكة للطريق الشرقي الممتد من غاو الى أغديس.

**ثالثا: الإسلام في منطقي سنسان مونغو([[4]](#footnote-5)) و كونجا([[5]](#footnote-6))**

حسب ما ذكره الرحالة بنغر(Binger) فإن انتشار الإسلام في هذه المناطق المتواجدة في أدغال السافانا الإفريقية بدأ في النصف الأول من القرن18م حيث يذكر بأنه في حوالي عام 1730 قام زعيم مامبروسي(**[[6]](#footnote-7)**) الذي يدعى ناي يري (Nay yiri) بمحاولة إخضاع منطقة ناليريغو (Nalerigu)(**[[7]](#footnote-8)**) ودعا(بونو) أي زعماء كل من منطقة بوندوكو (bondoukou) كرومانيا (Groumania) وكذا زعيم نهر كوموي وهو ملك مملكة كونجا ليقدموا له الدعم العسكري في حربه ضد منطقة ناليريغو، وقد كافأ مندي منطقة غرومانيا بمنحهم الأرض التي سميت بسانسان مانغو على اسم موطنهم الأصلي وهو مانغو تورا (Mango-Toura))**[[8]](#footnote-9)**(. وهناك مخطوطات تاريخية خاصة بهجرات الديولا كتبها بعض الأئمة ونقلت من طرف بعض الباحثين الألمان تروي بأن الطريق من مانغو تورا إلى سانسان مانغو تبين بأن انطلاقة الملك بيما بونصافو(Bema Bonsafo))**[[9]](#footnote-10)**( من مانغو تورا كانت يوم جمعة 12من الشهر و وصل إلى المنطقة التي يسكنها شعب البادارا بعد أسبوع من ذلك، وقد انتصر في اليوم التاسع و العشرين من نفس ذلك الشهر، حيث غزا نغورومي(او غورما) وقتل زعيمها و بقي فيها لمدة 13 شهرا، و بعد قتله لزعيم نغورما جلس إليهم ملك مملكة جابو(jabo) و أرسل ابنه إلى الإمام مع ثلاثة و سبعين(73) من العبيد ليطلب منهم القدوم إلى مجلسه في كانديا(Kandia) بعدها قاموا بقتل زعيم إمارة كنديا ثم استقروا بها لمدة 13 شهرا. أما مانويل(Meanwhile) ملك مامبوروغو (Mampurugu) فقد أرسل رسالة إلى ملك جابو عن طريق إمام منطقة كوسواغو (Kusawgu) الذي أرسل ابنه إدريسا إلى ملك جابو ثم أرسل بعد ذلك ابنه بريما و إمام شنسينا إلى كنديا و أخبرهم بالرسالة التي أرسلها ملك مامبروغو و قدم لهم ابنه على أساس مرشد و موجه لهم.

وعن طريق هؤلاء الأئمة الديولا بدأت طائفة الديولا تتوغل داخل منطقة الغابات و تتقرب من ملوك إماراتها وخاصة مع ملوك كونجا الذين ارتبطوا بهم ارتباطا وثيقا.و كان هؤلاء الأئمة ينتمون إلى منطقة كمبايا(Kambaya)التي يعود أصل سكانها من جهة الأب إلى أخوين هما كازاما (Gazama) و أمادو بنداويو(Amadu Bandawiu) وهما أبنا رجل يدعى يوسف كان قد استقر في كوت ديفوار وهو ينتمي إلى عشيرة كبيرة من الديولا التي احتلت منطقة كونغ.

و كانت أول عائلة مندية من التجار الديولا استقرت في حقل غومبو(Champ de Gombos) في منطقة بيغو(Biegho) بالكنغو(**[[10]](#footnote-11)**) هي عائلة كاراماتي (Karamaté) و التي أصبح أفرادها زعماء القبيلة التي يمثل الديولا فيها ثلاثة أرباع السكان فيها.

أما المنغو أو المانو فيمثلون طبقة المولدين من تزاوج النغان(N’gan) بالمندي، كما أن الأنو أو الانوفوي(Anonofoué) جاؤوا إلى منغو عن طريق غزوات متتالية إلى أن أصبحت البلاد تحت سيطرة زعيم مندي من الديولا هو ديان واتارا(Dyan ouattara)، و بالتالي فقد كان هؤلاء المندي الديولا الذين يمثلون الزعماء السياسيين لهذه البلاد هم كلهم من آل واتارا و قد قدموا سواء من سانسان مانغو بالطوغو أو من أنو(Anno) أو داغومبا ومنهم اتخذت البلاد اسم منغو، وكانوا كلهم وثنيين قبل اعتناقهم الإسلام.

**رابعا: دور الديولا في منطقة فوهوبيلي في كوت ديفوار:**

**1.من هم الفوبيلي(**Fohobélé**)؟:**

الفوهوبيلي هم سكان ما يعرف اليوم بجمهورية كوت ديفوار و الذين يسكن معظمهم اليوم دائرة فرونان(fronan) في مقاطعة كاتيولا(katiola)، ويعد اسم فوهوبيلي غير معروف اليوم بالنسبة لسكان المنطقة و جيرانهم و حتى بالنسبة للمؤرخين، بحيث لا يستعمل إلا من طرف الفوهوبيلي أنفسهم، ولكنهم يعرفون بكونهم سونوفو باعتبارهم ينتمون إلى هذا الفرع المندي.

و لقد اشتقت كلمة فوهوبيلي من كلمتين هما فرو(fro) وتعني لزج أو تزحلق و بيلي(bélé) وتعني الذين، و بالتالي فإن تركيب الكلمتين يعني (الذين يتزحلقون). و هناك من يقول بأن الكلمة تعني أولئك الذين يجعلون غيرهم يتزحلقون أو يسقطون. أي يطيحون بغيرهم.

و فيما يخص سبب إطلاق هذا الإسم عليهم فهناك عدة روايات منها من يذهب إلى أن الفوهوبيلي هم الشعب الذي يتميز بموهبة و قدرة على جعل محدثيه من غير الفوبيلي على النطق بكلام عكس ما يريد قوله و بالتالي يتحول محدثهم إلى إنسان مغاير لما يريد أن يكون. وهناك فريق آخر يذهب إلى أن الفوبيلي هم شعب قادر على جعل محدثيهم يعتقدون بأنهم على خطأ حتى وإن كانوا على حق، فهم شهب ذكي و ماكر. أما المجموعة الثالثة فهي تقول بأن الفوبيلي هم شعب يحكمون على الناس بأقوالهم و اعمالهم لان الاقوال وحدها قد تخدع أصحابها. اما المجموعة الرابعة فتقول بان هذا الاسم اعطي لهم لانهم يقولون دائما الصدق.

**2 . أصل الفوبيلي:**

هناك روايات تقول بأنه كانت هناك عائلة مكونة من ستة أفراد لديهم آم واحدة كانت تسكن مكانا ضيفا و في إحدى الأيام أرادت الانتقال إلى مكان أوسع و قد كلفت الأم أبناءها الستة بالبحث عن مكان أوسع، و أن العائلات الستة هي التي كونت ما يعرف اليوم بتاغبانا (Tagbana) أي الفوهوبيلي، و تذهب روايات أخرى إلى أن الفوهوبيلي قدموا من منطقة كوتيالا الواقعة في بلاد المنينكا بمالي، ولقد دفعت الحروب و نقص الأراضي الخصبة والفقر بهؤلاء الفوهوبيلي إلى الهجرة باتجاه الجنوب ووصلوا إلى غاية تيبيسو (Teibéssou) و تومودي(Toumodi) في بلاد الباولي الحالية التي وجدوها غير مسكونة. وكانت أول قرية أسسها الفوهوبيلي هي كانانغونون (Kanangonon) .

**3. وصول الديولا الى منطقة الفوهوبيلي:**

لا يوجد تاريخ محدد لوصول الديولا إلى منطقة جنوب منعطف النيجر، لكن المعروف أن هناك عدة موجات كبيرة من الهجرة إلى المنطقة حدثت خلال القرون 11،13 ، 14، 16 و18 الميلادية جلبت معها هجرات فردية من التجار المدفوعين بحب المغامرة التجارية، وكانت مجموعات من التجار الديولا قد توغلت في المناطق الغابية و في بلاد السينوفو وارض الفوبيلي قبل انهيار إمبراطورية مالي لكنها ازدهرت بعد سقوطها خاصة خلال القرنين 16و17م. وبعض هؤلاء الديولا سلكوا طريق القوافل الذي يربط سيكاسو ــــــ بوبوــــــ بنفورا ــــ وانغولو دوغوـــــ تافيري ـــــ كاناغونون. و رغم أنهم لم يؤسسوا قرى أو أحياء خاصة بهم في طريقهم لكنهم تركوا ممثلين تجاريين لهم على طول الطريق لذي سلكوه.

و لقد تأثر الفوبيلي بالتجار الديولا حيث اخذوا عنهم النظام الأسبوعي المكون من سبعة أيام عوض النظام المكون من ستة أيام الذي كان الفوبيلي يتبعونه، كما دفع الديولا السكان الأصليين من الفوبيلي إلى تغيير أسمائهم بأسماء أعيان الديولا، حيث تحولت أسماء زعماء الفوبيلي مثل هي، ثيو، هورو هيلي، هالا وغيرها إلى أسماء عائلات الديولا المسلمين مثل واتارا، توريت، كوليبالي، كوني، تراوري و كامارا. كما دفعت تأثيرات الديولا بالفوبيلي إلى تغيير الألقاب التي كانوا يضيفونها لأسمائهم مثل لقب دوغو(Dougou) عوض كاها(Kaha) التي كان يتخذها الفوبيلي (.

**4. المنغورو و دورهم:**

كما قدم من بلاد المندي(مالي) و خاصة من كنغابا إلى منطقة الفوبيلي فرع من الديولا يعرفون بالمانغورو (Mangoro)، و كان المنغورو كبقية الديولا قد اعتنقوا الإسلام قبل هجرتهم إلي الجنوب، بعدها هاجروا إلى منطقة سيغيري (Siguiri) ومنها الى اوديني(Odienné) و منكونو (Mankono) حيث أسسوا قرى مثل تنكاسو (Tankaso) نياكالي (Niakali) ونانكارا (Nankara)، وهنا ظهرت منهم ثلاث فروع كبرى وهي عائلة كوني(les koné) ، عائلة واتارا أو عائلة ساكبي (Sakpé) بالإضافة إلى عائلة كوليبالي (Coulibaly**.**

و مع بداية القرن 18م قرروا الهجرة إلى منطقة كاتيولا(katiola) التي كانت تربتها شديدة الخصوبة، و منها بدأ المانغورو ينتشرون في المنطقة في حين أن احد فروع واتارا اتجه نحو الشرق فعبروا نهر نزي(Nzi) وتوغلوا في منطقتي جيميني (Djimini) وجامالا (Djamala) بشرق البلاد، كما أن بعض العناصر من عائلة كوليبالي اتجهت نحو الشمال واستقرت في منطقة داراكولوندوغو(Daracolondougou) في قلبالفوهوبيليثم شيئا فشيئا توغلوا في باقي بلاد الفوبيلي. بعد استقرارهم في المنطقة شرعوا في صناعة النسيج و الألبسة، كما اهتموا بالزراعة والصيد، اما نساؤهم فقد اهتموا بصناعة الفخار حيث كانوا يحتكرون سر تقنية هذه الصناعة وأبقوها سرية. حيث كانوا يصنعون بالطين البط و المزهريات و عدة إشكال أخرى من الأواني المنزلية ذات جودة عالية و يبيعونها في أسواق القرى المجاورة.

و لقد تسبب استقرار الديولا من المانغورو في منطقة الفوبيلي في بعض المشاكل، حيث أنهم كانوا يرفضون إقامة أي علاقة مصاهرة مع الفوبيلي أو العناصر الأخرى وهذا مخافة أن ينتقل سر صناعة الفخار و تقنيات الزراعة و غيرها من العلوم و الفنون التي يحتكرونها إلى غيرهم، كما أنهم كانوا يملكون أراضي لا يملكها الفوبيلي. لذلك كان لزاما على الطرفين إيجاد نمط اجتماعي يكفل الانسجام و التناغم بينهما، حيث تم تقسيم المهام و الحرف على حسب الطوائف، فاحتفظ المانغورو بصناعة الفخار في حين أصبحت الزراعة من اختصاص الفوبيلي وغيرهم من سكان المنطقة.

**خامسا: ثورة الديولا في كونغ:**

قبل وصول الديولا إلى منطقة كونغ كانت هذه الأخيرة موجودة لكنها لم تكن سوى مجرد مكان بدون أهمية، فالديولا لم يكن يسمح لهم بالاستقرار في هذه المنطقة من طرف الأهالي لذا سكنوا مناطق مجاورة لكونغ مثل تيننغيرا (Ténenguéra) بالإضافة إلى قرية صغيرة اندثرت الآن( تبعد باثنين أو ثلاثة كيلومترات عن كونغ) كانت تسمى ليمبالا(Limbala).)

و لقد جاء الديولا إلى كونغ من إتجاهينمختلفين، فبينما قدمت عائلات واتارا، داو، بارو، وتورييكونوا من منطقتي سيغو و جني الماليتين، تكون عائلات كل من سيسي، ساخا، كامارا، دانيوخو، كوروباري، تيميتي، تراوري و فرع من عائلةواتاراقد قدمت من منطقة تنغريلا- نكوخو (Tengréla- Ngokho) التي كانت تعد أنذاك أكبر مركز تجاريبكوت ديفوار، كما ان هذه الهجرات لم تكن هجرات جماعية و إنما كانت هجرات متقطعة وعلى مراحل، و بفضل تفوقهم عن السكان الاهالي من حيث الذكاء و النشاط، و بفضل إسلامهم فقد تمكن الديولا من كسب مكانة مميزة في هذه البلاد ومن التاثير في سكانها.

ولقد عرف شمال شرق كوت ديفوار مع بداية القرن18 حالة من الاضطرابات أثرت على الحياة الاقتصادية لمدة طويلةـ حيث حدث ما يشبه الارستقراطية الحربية سيطرت على البلاد، بالإضافة إلى فشل السلطة في كونغ في السيطرة على مشكل الهجرة المتزايدة والنمو الكبير للسكان، فاستغل هذا الوضع الشباب الديولا ذوي التربية و ثقافة إسلاميتين والمتذمرين من انتشار التقاليد الوثنية السائدة في ظل حكم لازيري غبومبيلي lasiri gbombelé)) لذلك بدأوا ينادون بتغيير تلك الأوضاع.

فكانت إذن مرحلة الانتقال من حضارة ريفية قائمة على خدمة الأرض، الصيد، والحرف إلى حضارة مدنية صاعدة وقائمة على التجارة و الثقافة الإسلامية. لهذا بدأت ثورة الديولا بالتعرض للجنود و أتباع النظام الحاكم في المدن الرئيسية كما أن المحاربين الديولا التابعين لآل تراوري بدأوا يشنون هجمات على القوافل العابرة للبلاد.

وفي سنة 1705 تفاقمت الأزمة عندما قام أحد الديولا وهو الشيخ عمر عبد القادر و(المشهور باسم الشيخ أو الشريف) بتزعم ثورة أخرى، و كان الشيخ عمر هذا قد كون ثروة طائلة من التجارة، فكانت مقاومته تقوم على توجيهه ضربات متقطعة ضد التجار بهدف شل الحركة التجارية لمملكة كونغ، ثم قرر بناء رباط في جبل غرووي Gorowi)) منحه اسم باتوني (Patoni) و كان رباط باتوني هذا متمركز فوق قمة جبل غوروي و محصن من جهاته الثلاث عن طريق حصن أو دياسا(Dyasa) ولديه ثلاث فتحات تسمح بتصويب العدو في حالة محاولة تسلق الحصن).بينما قام صاحبه المعروف بالشيخ ديدي كراموكو (Didi karamoko) ببناء معسكر آخر في الرباط الذي اتخذ إسم داغا (Daga). و كان أهل الرباط يلقبون بــــووج ووج (woj woj) والتي تعني الشهادة ولا شيء غير الشهادة أي أنهم قرروا الاستشهاد في سبيل الله، وبذلك بدأ التحضير الجدي للجهاد ضد نظام( لازيري غبومبيلي.

وحسب الروايات الشفوية الخاصة بالقصر الملكي لمملكة كونغ فإن الديولا المرابطين بحصن باتوني كانوا يتلقون الأسلحة النارية عن طريق موانئ خليج غينيا مثل باسام(Bassam) كاب كوست (Cap Coast) المينا(Mina) و غيرها، و كانوا يحصلون على الخيول لفرسانهم من دافينغن. كما استفاد الشيخ ديدي كاراموكو من خدمات أحد المغامرين يدعى البارو بشارو (Albaru-Basharu) و هو محارب من فلاته منطقة مسينا.

و تتفق كل الروايات على أن البارو هذا يعتبر شخصية فذة و عبقرية عسكرية و فقيه على المذهب المالكي، فلقد استغرق أربع سنوات من(1705الى 1709) ليكوّن جيشا نظاميا منسجما يضم من 500الى700 فارس مجهزين بالبنادق بالإضافة إلى كتيبة من المشاة تتكون من 1000 الى 1500 جندي متخصصين في الرمي بالرماح و السهام. و كان معظم جنوده ليسوا من الديولا بل من النوبي(Nobé) و من الزازيري (Zazéré ) و كذا التييفو(Tyéfo) المتعودون على حرب العصابات و النهب و السطو على القوافل الذين يستولي عليهم جنود البارو. و كان يستفيد أيضا من المساعدات التي تأتي من مسلمي كونغ الذين كانوا يزودون القوار بالسلاح و الخيول والمؤونة، فيذكر بأن هناك رجل يدعى بارو بانيكو(Baro baniko) الذي جهز بماله الخاص120 فارس، و كذا بادياكو تراوري (Badiako Traoré) الذي سلح 380جندي من ماله الخاص.

وفي بدايات سنة 1705 م جهز الشيخ عمر قواته ضد ملك كونغ، وكان جيشه يضم ثلاث كتائب نظامية أوكل قيادة الكتيبة الأولى إلى أخيه فاماغان، بينما قاد الثانية البارو، أما الثالثة فقد قادها هو بنفسه، كما انضم إليه ملوك المقاطعات من الوثنيين. و لقد بدأت المعارك على بعد حوالي عشر كيلومترات من مدينة كونغ تفوّق فيها جيش الشيخ عمر ودخل كونغ منتصرا أين استقبل بهتافات كانت تناديه بشيخ الإسلام أو شيخ واتارا والتي تعني (الشيخ المنتصر) أو(وريث الشيخ).

و بهذا بدأ الشيخ عمر يتصرف كزعيم وحيد لمملكة كونغ دون أن يستشير بقية أمراء المقاطعات من الوثنيين، كما قام بتقطيع جثمان الملك لاسيري و نكل بجثامين أبنائهو جميع معاونيه، و قام بدفن رأس الملك لاسيري جنوب الساحة الكبرى للسوق و أقام عند مدخل حي كيريو(Keréu) و هو حي زعماء كونغ بابا كبيرا وذلك حتى يضطر التجار المتجولون في كونغ إلى التجمهر فوق المكان الذي دفن فيه ملك كونغ الوثني. لكن هذا الوضع بالإضافة إلى اعتدائه على الزعماء الوثنيين وتدميره لمعابدهم ورموزهم الدينية تسبب في ثورة الوثنيين وبعض ملوك المقاطعات عليه، حيث رفضوا انفراده بالقرار و قرروا حمل السلاح من اجل الإطاحة به و إخراجه من مدينة كونغ.

و هكذا اندلعت حرب أخرى لكن هذه المرة بين أنصار الشيخ عمر و الماسايا( أي الملوك المحليين) الذين كانوا في البداية حلفاء له خلال ثورته ضد الملك لاسيري. وقد عرفت هذه الحرب باسم بان كيلي(Ban-kélé) أو بالاكا(Palaka) و تعني الثورة بلغتهم، ودامت هذه الثورة إلى من شهر مارس إلى شهر نوفمبر من 1710م و تسببت في مقتل الآلاف من الأشخاص وقتل فيها جميع قادة الماسايا، و بالتالي تخلص الشيخ عمر الذي تحول اسمه إلى سيكو واتارا(Séko Wattara) ثم توجه لمحاربة الكومونو(Komono) وهم حلفاء الملك السابق لاسيري غبومبيلي، وكان ملكهم الذي ينتمي إلى أصول مندية ويدعى بونغو (Bango) أو(Bungo) قد حصن حدوده مع كونغ جيدا، لكن سيكو واتارا انتصر عليه وأالحق مملكة الكومونو بمملكة كونغ.

1. **ظهور سيكو واتارا و دوره:**

إن تاريخ سيكو واتارا وصل إلينا بفضل ما نقلته لنا الروايات الشفوية المحلية، و لقد ولد الشيخ عمر حسب هذه الروايات سنة 1670م، و يكون قد تولى الحكم في سن الأربعين عمره حسب هذه الروايات. كما تذكر المخطوطات التي ما تزال تحتفظ بها مدينة كونغ بأن الشيخ عمر ولد قبل أخيه فاماغان بخمس سنوات، و أطلق على سيكو واتارا لقب الشيخ لعلمه ونسبه الشريف، حيث تروي بعض روايات (البوبوــ ديولاسو) انتسابه من حيث الأم إلى إلى الصحابي الجليل و فاتح مصر عمرو بن العاص،كما أنها تضيف بأن إحدى حفيدات الشيخ عمر تزوجت من احد الأشراف من عائلة تنتسب إلى نسل الرسول.لكننا لا يجب أن نعوّل كثيرا على هذا الادعاء لأنه جرت العادة بالنسبة لجميع الممالك الإفريقية وعشائرها الكبرى ادعاء الانتساب إلى نسل الرسول صلى الله عليه وسلم أو الى أشراف مكة أو قريش من بني أمية و بني العباس أو إلى الصحابة، وهذا من أجل إضفاء الشرعية لحكمهم.

وتشير نفس هذه الروايات إلى أن الشيخ عمر قد تأثر كثيرا برجلين وأثرا في حياته واحد يدعى دو دابيلا(Dau Dabila) والآخر يدعى كراموكو ديبي (Karamogo Dibi)، الأول رباه مثل ابنه حيث علمه زراعة الأرض والنسيج الذي برع فيه الشيخ، و الثاني علمه فنون القتال حتى أصبح قائدا عسكريا محنكا و مخطط استراتيجي ماهر حيث اعترف له الأعداء بأنه كان يعرف كيف يجبرهم على القتال في ظروف ليست في صالحهم.كما كان رجلا مقداما و صادقا مما اكسبه حب الناس الذين يقاتلون الى جنبه.

و لقد كانت فترة وجوده بالجيش قصيرة، ففي نهاية سنة1700 و بعد انقلاب عسكري فاشل ضد الملك غبومبيلي لاسيري اضطر إلى الهروب إلى الغابة هو أتباعه، لكن هذا الانقلاب الفاشل أحرج ماغان واتارا (Maghan wattara) ملك إمارة تنيجيرا(Ténégéra) التابعة لملك كونغ و الذي تكفل بحمايته، فقرر هذا الأخير معاقبة الشيخ بدفع 600عبد. بعدها بدأ الشيخ بممارسة مهنة التجارة التي اكتشف صعوباتها و كذا مخاطرها الجمة فاتجه الشيخ الى استدعاء رفقائه في الجيش وكون منهم مليشية مسلحة مكونة من العشرات من الفرسان المزودين بالبنادق و600 من حاملي الذخيرة وكلفهم بحماية قوافله التجارية من الاعتداءات.و بهذه الطريقة ازدهرت تجارته و تجارة متبنيه دابيلا، وكانت تجارتهما تقوم على بيع الزرابي، ألواح الملح، نواة الكولا، الذهب، العبيد والقماش (.

بين سنتي 1700و 1710 أصبحت قوافل سيكو واتارا تؤم أسواق ورودوغو (Wordugu)، مانغو(Mango)، آنو(Anno) و بيتوغو(Bittugu) بندوغو(Bendugu)، لوبي(Lobi)، داغومبا(Dagomba) و كونجا(Conja ) وخاصة سوق سالاغا(Salaga) بعدما مُنع عنهم سوق مدينة كونغ بطلب من ملكها، واستطاع سيكو واتارا قبيل تنظيمه للإنقلاب الثاني جمع ثروة طائلة جعلت سمعته تتجاوز الحدود الشمالية لكوت ديفوار، وكان بالإضافة إلى غناه رجلا عالما تقيا ورعا، وترك بعد وفاته اثنتا عشرة ولدا خلفه منهم كومبي واتارا الذي تصفه الروايات الشفوية بالأمير النشيط و الحيوي المقدام والشجاع والصارم، و لقد توصل هذا الأمير إلى أن قوة مملكة كونغ الإسلامية الناشئة لا بد أن تقوم على ثلاث عوامل رئيسية وهي التجار، الجيش و الإسلام، وبذلك اتخذ لقب فاما(Fama) و تعني الملك عند الديولا ثم بدأ إصلاحاته التي بدأها بالجيش.

إن الفاما الجديدا) وهو ملك الديولا الجديد( كان ملكا مسلما لكن الجيش الذي أسسه ضم عدد كبير من الوثنيين لذلك فلم يكن مسموح له بإغضابهم، لهذا كان يحاول ايجاد التوازن وحفظ مصالح التجار المسلمين و الوثنيين على حد سواء.كما حاول الحفاظ على وحدة الوطن الذي أرهقته الحروب، فكان عليه كسب ود العائلات الكبيرة مثل عائلات فالافالا (Falafala)، ميورو(Myoro)، غبن (Gben) و واتارا(Wattara). فعمل على تنظيمهم و جعلهم في خدمة التجارة، الزراعة والإسلام. كما أهمل المصطلحات الوثنية وعوضها بالمصطلحات الإسلامية، و منع استعمال الكلمات المشينة التي كانت تطلق من طرف المسلمين على الوثنيين، و اصدر عقوبات مالية و السجن و الجلد لكل من يصف الواتارا بالوثنيين.

كما اعتنى الشيخ بالجيش الذي اعتبره عمود الدولة، فأسس جيش مكون من جنود شباب وأقوياء مسلحين جيدا و مؤطرين من طرف الكونجا(Conja)، كما انشأ قاعدة عسكرية سماها (داغارا ) أو (داخارا ) أو (داغا)على بعد30كلم شمال غرب كونغ في الموفع الذي يسمى اليوم دامباريا(Dambaria) و قد لقب المتخرجون من هذه القاعدة بسونانجي(Sunanji) اما المؤسسة فسميت بالسونانجية Sunanjia)) و هي كلمة مستمدة من المصطلح الإسلامي وهو السنة وبالتالي فهو يعني أصحاب السنة. و كان السوننجية يؤدون اليمين بعدم الهروب أثناء الهزيمة في الحروب و يفضلون الموت.

وهناك شيء آخر كان يشغل بال الشيخ واتارا وهو أولئك الديولا و المندي المسلمين الذين بدأوا يتخلون عن الإسلام و تحولوا إلى الوثنية مثلما حدث مع عائلتي تراوري و كوليبالي، لهذا فلقد كان عليه الاعتماد على التسامح الديني في حكمه و الاستناد إلى المؤسسات الوثنية التقليدية السائدة لكسب الشرعية لحكمه، صحيح انه حطم دور عبادة الأوثان الموجودة في الحواضر والمدن، ذلك لإرضاء المسلمين لكنه في المقابل اعترف بأهمية معتقد الأشجار المقدسة (**[[11]](#footnote-12)**) في التربية وتكوين الإطارات العسكرية الجديدة.

قام داغارا (Daghara) بتكوين ثلاث أنواع من الجند وهم، السوننجي المعروفون، الديولاديون والبامباديون. الفريق الأول كان في البداية مكون من رؤساء الأراضي والقرى، وجنوده مؤهلين ليكونوا ضباطا و قادة للجيش، أما الثاني فهو مكون من العبيد حيث أن تسميتهم بديولاديون يعني (عبيد الديولا) وهذا النوع يمثل الجزء الأكبر من الجيش. أما المجموعة الثالثة من المحاربين فقد كان يتكفل بها بامبا (Bamba) وهو الخادم الوفي للملك سيكو واتارا و كانت مهمتهم هي الدفاع عن مؤسسات الدولة و ضمان امن الملك. و لقد كان سيكو واتارا يضمن للجيش المبيت و المأكل والملبس بالإضافة إلى المكافآت المالية التي كان يقدمها له.

عند وفاته ترك سيكو واتارا اثنتي عشرة (12) ولدا تقاسموا السلطة فيما بينهم، و فرضوا النظام في كل البلاد و خاصة على الطرق التجارية المؤدية إلى كونغ، و كان واحد منهم وهو أكبرهم ويدعى كاراموكو أولي واتارا يستحوذ على أن لسلطة العليا وحكم لمدة أربعين سنة و كان مقره بكونغ. بينما كان يسير المقاطعات و القرى أشخاص من الديولا لكنهم ليسوا من عائلة واتارا، حيث كانوا يستعينون بمجلس القبيلة و يستشيرونهم في القضايا الشائكة التي لم يتمكنوا من البت فيها بمفردهم. و بالتالي حرس هذا الملك على إقامة نظام شبه برلماني قائم على الشورى كان يهدف من خلاله إلى منع أفراد أسرة واتارا من الاستبداد بالحكم والرأي.

وعموما فإن أحفاد سيكو واتارا استمروا في حكم مملكة كونغ خلال القرن الثامن عشر رافعين راية الإسلام في تلك الأدغال قبل أن تدخل الدولة في صراع مع فرع أخر من الديولا و هم بوبو ديولاسو (أي ديولا منطقة البوبو) بين 1753 و1770م قبل أن يقوم ابن كومبي وهو ديانجينا موري ماغاري(Dyangena Mori Maghari) والذي خلف أباه على عرش مملكة كونغ من توحيد مملكتي كونغ و بوبو ديولاسو، وأعاد لكونغ و لآل واتارا دورهما في نشرالإسلام و تثبيته في أراضي الغابات الاستوائية الإفريقية إلى غاية ظهور حركة ساموري توري الإسلامية خلال القرن 19م التي وضعت حدا لهذه المملكة العظيمة.

إن طائفة الديولا لا تمثل في الحقيقة إلا نموذجا لقدرة الإسلام على التلون بألوان المناطق التي يحل بها في إطار البعد الكوني والإنساني لعقيدته، كما أن الديناميكية التي تميزت بها عائلة واتارا في تمكينها لنظامها السياسي و حفاظها على دورها الاقتصادي في ظل إيجاد مناخ من العلاقات مع العشائر المجاورة لها وسط منطقة تبدو للوهلة الأولى غير مهيأة للتجاوب و التعايش مع الآخر إنما يبرز لنا بدون شك تلك القيم الإنسانية والاجتماعية وحتى الذهنية التي كسبتها هذه العائلة السودانية من الدين الإسلامي وهو ما يؤكد بالفعل نظرية الإسلام الأسود التي أقرها الكثير من المؤرخين الأوربيين خلال فترة الستينات من القرن الماض**)**.

**المبحث الثاني: الإسلام في ممالك الفولتا ودور طائفة اليارسي**

لقد عرفت منطقة غرب إفريقيا عدة ممالك اشتهرت من خلال المصادر العربية ، لكنها لم تتحدث عن بقية الممالك الوثنية التي تقع في منطقة الغابات أو الأدغال، إلا بوصفها بأنها شعوب بدائية و متخلفة، فتارة يذكرونها باسم بلاد الهمج، وتارة بلاد الدمدم، دون أن تذكر تفاصيل عن شعوبها و ممالكها وحضارتها، و من هذه الشعوب التي بقيت مجهولة نذكر شعوب منطقة نهر الفولتا، وهي شعوب وثنية بقيت منعزلة، لم تربطها علاقات بدول الشمال، فكان أول ذكر لها من طرف المصادر العربية ما ذكره محمود كعت في كتابه تاريخ الفتاش، بعد ذلك بدأنا نجد ذكرا لها عند الرحالة البرتغاليون.

ورغم قلة المصادر التي تحدثت عن هذه الممالك، فلقد حاولنا من خلال هذه الدراسة توضيح الدور الحضاري الذي قامت به ومدى مساهمتها في بناء الصرح الحضاري العالمي من خلال بناء نموذج حضاري إفريقي خالص، كما سنحاول من خلال هذه الدراسة توضيح ذلك التأثير الذي أدخلته طائفة اليارسي في ممالكها وحضارتها، من خلال إدخال عقيدة الإسلام والكثير من القيم الإسلامية و حتى التقنيات التكنولوجية التي كانت مجهولة عندهم، وهو ما أنتج لنا نموذج لمالك افريقية ذات مواصفات افريقية خالصة بتأثير إسلامي واضح.

**أولا: أوضاع منطقة الفولتا و شعوبها قبل الإسلام:**

**1. الموقع الامتداد الجغرافي:**

ارتبط اسم هذه المنطقة باسم النهر العظيم الذي يعبرها، و هو نهر افولتا الذي يعد من أهم انهار غرب افريقيا ينبع من دولة بوركينا فاسو الحالية ويصب في خليج غينيا اين توجد جمهورية غانة الحالية(ساحل الذهب سابق)، و يمر عبر مجراه الأسفل بعدة دول مثل جمهورية البنين،كوت ديفوار، مالي غانة و طوغو، كما خلال مساره ومجراه يمر بمراحل و في كل جزء من هذا المسار يتخذ اسما معينا، ففي الجزء الأوسط من إفريقيا الغربية يتخذ اسم فولتا الأحمر ثم فولتا الأسود ثم فولتا الأبيض.

و تمتد المنطقة محل الدراسة على مساحة تتجاوز حدود نهر الفولتا، وتمتد من منعطف نهر النيجر في الشمال الشرقي، و تصل في الجنوب إلى غاية كوت ديفوار في الجنوب الغربي، وإلى غاية مشارف منطقة الغابات الاستوائية في الجنوب (.

**2. شعوب منطقة نهر الفولتا:**

يطلق اسم شعوب الفولتا على تلك الشعوبالتي سكنت منطقة الفولتا و التي تنحدر من نفس السلالة، لكنها ليست بالضرورة استقرت في نفس المكان، حيث حدثت هناك هجرات دفعت ببعض هذه الشعوب إلى تغيير أماكن استقرارها ودفعت أخرى إلى الاختلاط ببعضها البعض و هو ما جعلنا نصنفها إلى مجموعات رغم أنها تنتمي إلى نفس العائلة البشرية.

**أ. مجموعة التومبو(Les tombo)**

و تضم هذه المجموعة التومبو و الدوغوم، ولقد حافظوا على نقاوة سلالتهم و خصائصهم الفزيولوجية بسبب مهارتهم القتالية ومقاومتهم لكل محاولة الغزو الأجنبية القادمة إلى أرضهم من طرف الأجانب مثل الفلاتة وملوك مالي و سنغاي و الياتنغا وحتى باشوات تنبكتو خلال القرن 16م، كما يشترك التومبو في الكثير من الخصائص مع الماندينغ، وخاصة فيما يتعلق بنزوعهم إلى الاستقلال. ربما بسبب أوجه التشابه هذه دفعت بعض الروايات إلى ربط التومبو بأصول مندية أو على الأقل قسم منهم جاؤوا من بلاد المندي.

**ب. الغورونسي(Les gourounsi)**

كان هذا الشعب من الأوائل الذين سكنوا وسط منطقة الفولتا، و هم شعب مسالم لكن تنظيمه السياسي بسيط يقتصر على رئيس القرية و بدون سلطة مركزية، لهذا كان من السهل أن يتعرضوا في تاريخهم إلى الكثير من الهجمات المصحوبة بالنهب و السلب، و هذا ما أدي إلى امتصاص العديد من الغورونسي و ضمهم إلى هؤلاء المعتدين من الموسي او الداغومبا وتمتد مجالات الغورنسي إلى غاية جمهورية غانة الحالية. و ينقسم الغورونسي إلى مجموعات صغيرة مستقلة عن بعضها البعض، وهي: مجموعة ليلا(Léla) في الشمال، نابوا(Nabwa) وكو(ko) في الغرب، سيسيلا(Sissila) وكاسينا(Kasséna) في الجنوب، وفافارا (Fafara) و نانكانا (Nankana) في اقصى الجنوب الشرقي.

و يعد الغورونسي مربو ماشية و رعاة بالدرجة الأولى و خاصة الخنازير والأبقار، لهذا تجدهم يتعرضون للغزو من طرف جيرانهم الغزاة، كما يمتهن بعضهم البستنة و التجارة ، ويتميز الغورونسي باحترامهم الشديد للتقاليد فلا يوجد لديهم زعيم لكنهم يحترمون صاحب الأرض أي مالك الأرض، الذي يعد حارسا و حاميا للتقاليد، فالذي لا يحترم التقاليد عندهم يجبر على ترك القرية والذهاب للعيش بعيدا عنهم، و يندرج ضمن شعب الغورونسي مجموعات أخرى هي: نيونيوزي، نونوما(Les Nounouma)، سيسالا(Les Sissala).

**ج. الموسي:**

يطلق عادة على الموشي او الموسي أولئك السودان القادمون من الجنوب من بلاد داغومبا الموجودة عند خط عرض 10 شمال خط الاستواء، حيث يتمركزون شمال شرق ساحل الذهب (غانا الحالية) ، او ما نسميها منطقة نهر الفولتا الذي يقطعها. ويبدو أن هذه التسمية اشتقت من كلمة موشي التي ذكرت في تاريخ الفتاش و تاريخ السودان، و استعملها الأوربيون بدورهم، ذلك لان كلمة موسي لا توجد في لغة شعب الموسي و انما يطلقون على بلدهم اسم موغو(Mogho) أما لغة الموسي فيطلقون عليها اسم موغي (Moghé)، والرجل الذي ينتمي إلى الموسي يطلق عليه اسم مواغا (Moaga) (.

وتعد هذه لمملكة من ممالك منعطف النيجر ومنطقة الفولتا، والتي رغم الإشارات المهمة التي أفادتنا بها الحوليات السودانية كتاريخ السودان، وتاريخ الفتاش لمحمود كعت، إلا أنها لم تحدد لنا إطارا تاريخيا دقيقا لبداية تشكل هذه المملكة أو تسلسلها الزمني، لكن الملاحظ على هذه المملكة انه اقتصر ذكرها على المصادر السودانية فقط.

**ثانيا: ممالك الموسي في المصادر العربية:**

لو حاولنا تحليل النصوص التاريخية السودانية المكتوبة التي زودتنا بالمعلومات المتعلقة بهذه المملكة، فإننا نجد بأنها اتسمت بخاصيتين هامتين هما، الأولى أن هذه المملكة كانت موجودة وتمتعت بقوتها خلال منتصف القرن السابع للهجرة/ 13 للميلاد، اما السمة الثانية فهي أنها كانت مملكة وثنية تكن الكثير من العداوة و الكراهية للممالك الإسلامية.

يذكر محمود كعت قيام الموشيين بغارات على مملكة سنغاي) في الفترة التي كانت لا تزال فيهام ملكة مالي تتمتع بقوتها ومجدها، كما يخبرنا السعدي بأنه خلال عهد حكم منسا مغا خليفة الملك منسا موسى، قدم ملك الموشي بجيش عظيم، وقام بغزو مدينة تمبكتو التي كانت في حظيرة الماليين، فخاف أهلها وتركوها هاربين، فدخلها الموشيين وأحرقوها وخربوها وقتلوا من قتلوا ونهبوا ما فيها من أموال.(**[[12]](#footnote-13)**) فكان هذا الحدث يصادف فترة حكم ملك سنغاي "زاباري" أو(زابير) كما يسميه السعدي، وصادف حتى فترة حكم خليفته من بعده زا أسيباي**،**وهذا كله يفيد بأن مملكة الموشي عاصرت إمبراطورية مالي خلال أوج قوتها وعظمتها، بل نافستها وهددت أمنها.

لكن لو حاولنا الرجوع إلى الدراسات الحديثة المعتمدة على الروايات الشفوية و بعض الرحالة الغربيين بخصوص هذه المملكة، لوجدنا بأن هذه الصورة القاتمة لمملكة الموشي لم تكن بهذا السوء، فمملكة الموشي لم تكن في الحقيقة مجرد جماعة من المحاربين الذين لا يفقهون إلا الغزو والنهب والسلب كما يتوهم الكثيرون، بل كانت تمثل شعبا منظما سياسيا وعسكريا في إطار ممالك انتشرت في إقليم الموسي الذي تعد مركزه مدينة واغادوغو.

**ثالثا: نشأة ممالك الموسي و حضارتها قبل الإسلام:**

**1. التأسيس و النَّشْأَة:**

و تعد ممالك الموسي من بين مجموعة الممالك معروفة باسم (مول ــ دوغبان)، بل وهي من أشهر ممالك هذه المجموعة، بالخصوص وجدت هناك دولتان في تاريخ الموسي، الأولى كان زعيمها يسكن في عاصمته واغادوغو، و التي تأسست حوالي سنة 1050م من طرف مغامر اسمه اوبري، أما الثانية والتي عرفت عدة عواصم من بينها واهيغوي (Ouahigouya)، فهي لم تظهر إلا حوالي سنة 1170م من طرف رجل يدعى يا(ya)، ثم أصبح يدعى ياتنغا و التي تعني في لغتهم (ارض يا)، و كان ملوك كلتا المملكتين يحملون لقب (مورو ـ نابا) والتي تعني رئيس ارض الموسي، حيث أن الشعب الذي يسيطر على تلك المملكتين هو الشعب الموسي، كما أن هاتين المملكتين كانتا دائما مستقلتين عن بعضهما البعض،و كل مملكة كانت تضم بداخلها عدة ممالك صغيرة.

فبداية من القرن 11م بدأت هذه الشعوب تزحف باتجاه الشمال الشرقي نحو نهر النيجر، و بدأوا بتأسيس أول ممالكهم، و هي مملكتا الداغومبا و المامبروسي**،** لكن شهرة ممالك الموسي لم تتم إلى غاية القرن 15م عندما تحدثت عنها المصادر السوداقبل أن يتم التصدي لهم من طرف سني علي الذي سير إليهم جيشا و هزمهم و سباهم سنة 1488كما أعلن ضدهم الجهاد في سنة 1497م، هزمهم شر هزيمة، و دفعهم نحو الجنوب و لقد وصل إلى غاية منطقة الغورما او الغورنسي و هي إحدى ممالك الموشي الواقعة في شرق نهر الفولتا، وعاصمتهم فادا نغورما.

و يعود تأسيس أول ممالك الموسي حسب الروايات المحلية في المنطقة ،عندما قام احد زعماء الداغومبا و هو نيديغا بتجميع كل من داغومبا و ممبورسي تحت سيطرته، ولم يكن لديه ابن ذكر يرث ملكه من بعده، ولكن كانت لديه بنت محاربة تسمى ينينغا(Yeninga)، و كانت تشبه الرجال في تصرفاتها تغزو و تنهب و تسلب، وكان والدها يرفض تزويجها مخافة ان تتحول إلى آم وتفقد قوتها و لن تستطيع قيادة الجيوش. و في إحدى الأيام بينما كانت في إحدى غزواتها فزع حصانها بسبب الم في أسنانه و انطلق بها بعيدا عن جيشها و لم يتوقف، وأخذها إلى داخل غابة حيث توقف قرب كوخ لأحد الصيادين يسمى ريالي أو (رياري)، و هو ابن احد الزعماء المالنكي.

تعلقت ياننغا بالصياد المالنكي و استقرت للعيش معه، و أنجبا طفلا أطلقا عليه اسم ويديراوغو (Ouidiraogo)، و التي تعني بلغة الداغومبا و الموسي الحصان الذكر، و عندما أصبح هذا الأخير شابا أرسلت والدته ينينغا رسالة لوالدها نيديغا تخبره بأنه أصبح جدا، فرحب بهم في مملكته لكنهما رفضا العيش معه وعادا للعيش في الغابة، كما منحهم نيديغا جيشا من الداغومبا لحماية حفيده، وبعد وفاة والدته ياننغا أصبح ويديراغو قائدا و محاربا كبيرا فقام بتأسيس مملكته الخاصة به.

لما سمع الموسي و الداغومبا بهذه المملكة الصغيرة ، بدؤوا يلتحقون بها و ينظمون تحت لوائه وطاعته، خاصة لما يكتسيه ويديراغو من شهرة عند تلك الشعوب، و المكانة التي كانت تحتلها والدته عندهم. فتوحد الموسي تحت سلطته، و كان له عدة أبناء منهم ثلاث ذكرتهم الروايات الشفوية و هم زونغورانا، راوا و ديابا، حيث منح لكل واحد منهم قيادة مقاطعة من مملكته، و بعد وفاة ويديراغو ترك أبناء كثيرون و منهم تشكل زعماء الممالك الو المقاطعات الموشية ، لكن واحد منهم يسمى زونغورانا الذي خلفه على عرش المملكة وعين ابنه اوبري قيادة مقاطعة الغرب، و لما أصبح رجلا قام اوبري بالهجوم على جميع الأراضي الغربية ووحدها تحت سيطرته و كون منها مملكة واحدة، و ذلك سنة 1050م حسب، و نفس الشيء فعله ابن ويديراغو راوا باتجاه الشمال الغربي و نفس الشيء بالنسبة لديابا، و بذلك تأسست ممالك الموسي الثلاث التي تفرعت كلها من سلالة ويديراغو، وهذه الممالك الموشية حتى و ان لم تكن بنفس شهرة و حضارة الممالك الإسلامية مثل غانا ومالي و سنغاي لكنها كانت منظمة و قوية

**رابعا: حضارة ممالك الموسي:**

**1. التنظيم السياسي:**

عندما نتحدث عن السلطة و الحكم عند الموسي نسجل دائما دلالتين مختلفتين للزعامة، الاولى هي تلك التي تدور حول فكرة ناما (Naama)، والتي تعني السلطة، اما الثانية فتدور حول فكرة بانغا(Panga)، و التي تعني القوة. فمصطلح نام (Naam)، يجمع بين دلالتين عادة وهي السلطة و معها الشرعية الالهية، فالنام عند الياتنغا هي القيادة والزعامة في نفس الوقت، ولقد وجدت لديهم ثلاث انواع من الزعامات هي: زعامة ملكية ولديها وظيفة السيادة، زعامة محلية وهي ذات وظيفة قيادية، وزعامات القصر ولديها وظيفة رئاسة المصالح الاداري

فالزعيم عند الموشي يسمى نابا(Naaba)، و هي محرفة عن كلمة نام، حيث أن جمع كلمة نام تتحول إلى نانامبا(Nanamba)، و بهذا كل من لديه زعامة معينة يلقب بنابا، فزعيم مملكة ياتنغا يطلق عليه اسم ياتنغا نابا، أي الملك، و زعيم وحدة عسكرية مثلا يسمة نابا غورسي (Naba gursi)، أما داخل القصر فنابا تعني رئيس مصلحة او وظيفة، حيث أن زعيم الرواة والمنشدين يسمى توغو نابا (Togo Naaba) أي زعيم الكلمة، و مستشار الملك يسمى بالوم نابا، و رئيس مصلحة التشريفات والمسؤول عن الحياة داخل القصر يسمى وارينغا نابا (le weranga naaba)، وهكذا. كما أن الملك نابا كان محاطا بأربعة رجال منى الثقاة، هم نيسومبا(les Nesomba)، ثلاثة منهم لابد ان يكونوا منحدرين من سلالة الزعيم الأسطوري المؤسس لممالك الوشي و هو ويدراوغا

و يعد نظام الحكم عند الموشي نظاما ملكيا وراثيا، حيث أن الزعيم وهو ياتنغا نابا يعتبر ناكومبوغا(Nakomboga)، أي ابن ريما، و معناه أنه قد اجتاز رحلة التتويج و التي تعرف بالرينغو(Ringu)، وهي طقوس تؤهله لان يتمتع بالسلطة الدينية و السياسية مع بعض. وتقوم هذه الطقوس بزيارة الملك المترشح لهذا المنصب إلى منطقة غورسي(Gorsi)، و هي اول عاصمة للموشي، و تسمة قرية الاجداد، أين يقدم نفسه للرعية و يبدأ عهده كملك، و عندما يتوفى االملك يخلفه ابنه البكر.

و يبدو أن نظام الحكم عندى الموسي يتمتع بلامركزية ، حيث نجد هناك نظام كنفدرالي، فمثلا مملكة واغادوغو الموشية كانت مقسمة إلى اربع ممالك مستقلة و لكنها تابعة للامبراطور، و كل مقاطعة او مملكة مقسمة إلى قرى يسيرها رئيس يلقب بتونغانابا (Tenganaba) ويكون من الطافة ناكومي(Nakomé) ،و يساعده مجموعة من الشيوخ ينحدرون من نفس عائلة الرئيس، بالاضافة إلى النبلاء المحليين.

وكانت القرى الكبرى مقسمة الى وحدات، و الوحدة مقسمة الى أحياء، و كل حي يضم مجموعة اثنية معينة، فهناك حي الموسي، و حي خاص باليارسي، و حي خاص بالفولسي ... وهكذا، وهناك ايضا احياء خاصة بالطوائف مثل حي عبيد القصر، و حي خاص بالحدادين و كل حي يحكمه رئيس تلك المجموعة الاثنية او الطائفة، حيث كان الحي يسمى بالموسي صاكا(Saka)، ورئيس الحي يلقب ب صاكاكا صامبا (Sakakasamba) وعندما يتوفى رئيس الحي يخلفه اخوه أو العنصر الاكبر من العائلة، ولكن مجموعة الاحياء لابد ان تخضع لرئيس القبيلة الذي يكون من الموسي و تدفع الضريبة و تخضع لاملاك الدولة، و يحرس موظف المملكة على امنها.

**2.الحياة الاجتماعية في حضارة الموشي:**

**أ. العائلة :**

أن العائلة عند االموشي متماسكة جد، لكن تدخل النابا او الملك في الشؤون الداخلية الخاصة للمجتمعات كان يقلص داوما سلطة رؤساء العشائر، فالاطفال في قانون الموشي ينسبون لوالدهم، فهذا الاخير يتوجب عليه رعاية ابنائه باطعامهم و حمايتهم، كما الاب هو من يختار الزوج لابنته، وهو من يتكفل بزواج اولاده الذكور، ولكن من خلال امور الزواج هذه اين يتدخل النابا (الملك) لاجبار رب العائلة على التصرف عكس ارادته و وفق ارادة ومصلحة الملك.

إن أهم ما يميز تنظيم المجتمع الموسي هو خضوع الفرد خضوعا كاملا للجماعة التي تعتبر العشيرة ابسط أشكالها، و العشيرة بدوها تخضع هي أيضا إلى تجمع اكبر متمثل في القرية او الدولة، و لكن تبقى الرابطة الاسرية اقوي رابطة في المجتمع الموشي حيث تعيش العائلة في كنف تجمع يسمى زاكا(Zaka)، و يرأس هذا التجمع نابا زاكا (Naba Zaka)، وهو اكبر أفراد العائلة سنا. و اذا توفي هذا الرئيس فان زعامة العائلة تنتقل إلى اكبر أفراد العائلة سنا و يكون من نفس جيل الزعيم المتوفى، بحيث أن كل أفراد زاكا يقبلون هذا القرار و لا احد يمكنه أن يعارضه. و تكون مسؤوليات او واجبات الزعيم الأساسية هو الحصول على الطعام و الحفاظ عليه و الإشراف على استهلاكه، كما يشرف هو شخصيا على توزيع الأعمال على أفراد العائلة، أما بخصوص تنظيم الأعمال المنزلية الخاصة بالنساء، مثل طهي الطعام و جمع الحطب من الغابة، و طحن الذرة ، وجلب الماء فكانت تشرف عايها زوجته المفضلة.

في كل عائلة موشية فان الاحفاد المباشرين و المنحدر من سلالة مؤسس العائلة، وإخوته اذا كانوا يسكنون معه تحت سقف واحد فلابد من أن يطيعوه، و بالمقابل فان رئيس العائلة يكون مسؤول عن كل من يعيش معه تحت سقف واحد و خاصة فيما يخص الديون.و عند وفاة رئيس العشيرة فان ابنه الاكبر هو من ييرث منصبه لكن هذا اذا كان قد بلغ الرشد، أما إذا كان الإبن الأكبر قاصرا فإن أكبر أعمامه هو الذي سيرث منصب والده، و يصبح رئيس العائلة. لكن عند وفاة العم تعود اليه، و في حالة عدم وجود ورثة ذكور يلجا الموشي إلى تبني ذكر لأنه لا يجوز عند الموشي أن يكون رئيس العائلة من النساء.

**3. الزواج:**

لقد كان النساء في مجتمع الموشي في درجة دنيا و لا يمكنهن العيش دون زواج، فلقد كن يتزوجن في سن مبكرة عادة لا يتجاوز العشر سنوات، و يتم هذا الزواج بتقديم الزوج مهرا لعائلة زوجته، حيث بمجرد تقديم المهر يمكنه اخذ زوجته إلى بيته، و اذا كانت صغيرة جدا يتركها عند والدتها إلى غاية أن تبلغ سن 12 عاما فتلتحق ببيت زوجها.كما أن الخال في المجتمع الموشي هو بمثابة الام عند الرجل ، لهذا فعندما تتوفى الوالدة يتزوج الرجل من ابنة خاله فيناديها امي (.

كما أن الزواج عند الموشي لا يتطلب اقامة حفل زفاف، و اذا رفضت الفتاة الزواج كأن تهرب من بيت زوجها للعودة إلى بيت اهلها او إلى بيت احد اصدقها الذين اختارتهم، (وهو ما كان يتكرر كثيرا) فما على اهلها الا اعادة المهر فقط. ويعرف الموشي بتعدد زوجاتهم فتجد الرجل منهم يتخذ حتى اثنتي عشرة زوجة، بينما المورونابا أي الملك فيملك الالاف من الزوجات، و لكن الزوجات لا يمكنهن البقاء ارامل فعند وفاة الزوج توزع زوجاته على اخوة الراحل، لكن الإبن لا يمكنه أن يتزوج زوجة أبيه.

إن الحياة الاجتماعية للموشي يغلب عليها الطابع الفلاحي، لأن المجتمع الموشي هو مجتمع زراعي، فرئيس العائلة يقوم بتسيير عمال الحقل، و يسهر على التوزيع اليومي للدخن على أفراد العائلة، ويوزع أيضا نصيب كل واحد من الخبز اليومي الذي يعرف عندهم باسم (صارابو sarabou)، اما النساء فيقمن بطحن الدخن و طهيه، كما يتكفلن بجلب الماء، ويقوم البنات بمساعدة امهاتهن بمختلف الاشغال في حين يقوم الولاد بالاعتناء بالخيول، ولما يبلغ الذكور سن 12 سنة يقوم الموسي بختانهم ، حيث تعد الختان عمليبة بالغة الاهمية عندهم و تقام لها حفلة عظيمة.

1. **الديانة و الطقوس الجنائزية:**

تعد الوثنية الديانة المنتشرة في ممالك الموشي، بحيث أن المنطقة ظلت معزولة عن التاثيرات الدينية السماوية في بعض الاحيان و في احيان اخرى حاربتها و رفضتها، و كانت الارض عندهم هي بمثابة الوسيط بين العباد و الالهة، و بالتالي هي من تحفظ لهم الرزق و الصحة و أيضا تضمن لهم التواصل مع الاموات. فالاموات او الاجداد و ارواحهم يمثلون بالنسبة للموشي الخط الموازي بين الحياة الدنيوية المرئية و الحياة الاخرى الغيبية، كما أن ارواح الاجداد عندهم هي من ترزقهم بالخصوبة وانجاب الاطفال، كما انها تزور الاحفاد وتراقبهم.

أما بالنسبة للطقوس الجنائزية فهي معقدة و سرية، و في كل قرية توجد عائلة تقوم هذه الطقوس، و تقوم هذه الطقوس اولا بكسر عظام ساق الميت و يلفونه في حصير ثم يدفن في حفرة بعمق متر و نصف،و كانت تتخلل طقوس الدفن عندهم بعض الرقصات و الاغاني يقوم بها اشخاص مكلفين بهذا الامر، حيث كانوا يلبسون لباسا عريضا مصنوعا من جلود الزواحف، ويضعون قناعا خشبيا، و يقومون بتقديم القرابين اما القبر و تتمثل قرابينهم في الدواجن و البشر أيضا ، أما اذا توفيت زوجة الامبراطورفانهم يضحون بخيله في العاصمة التاريخية غامباغا، أين يذبح عند قبر الزعيم الاسطوري للموشي ويديراوغو(**[[13]](#footnote-14)**).

**خامسا: طائفة اليارسي و دورها في حضارة الموسي**

**1.التعريف بطائفة اليارسي:**

إن الروايات تنسب اليارسي إلى ثلاث مجموعات غير متشابهة، و معظمها تعتبرهم من فئة الفقهاء المسلمين والدعاة، كانوا يمتهنون التجارة المتنقلة، وفي بعض الأحيان يعيشون على صناعة النسيج، أو بممارسة الزراعة. و هناك روايات تقول أنهم كانوا محاربين في خدمة الملوك وثنيين، لكن الشيء الأكيد هو أن اسمهم اقترن شيئا فشيئا بالتجارة والإسلام ، حيث كانوا أول شعوب الفولتا الذين اعتنقوا الإسلام (.

فاليارسي يدعون بأن أصولهم الأولى تنحدر من مكة، لكن يبدو أن هذا الإدعاء هدفه كسب مكانة بين العشائر المسلمة، وهناك من ينسبهم إلى المندي و يقول بأنهم فرع من الديولا أو السوننكي(أي الونغارا)، حيث بدؤوا بالإستقرار بشكل بطيء على شكل تجار و فقهاء مسلمين في مختلف بلاد الموسي، و أول مجموعة تم رصدها في واغادوغو في بداية القرن 16م، و بدأ تأثير هذه الجماعة المندية المسلمة في المنطقة إلى غاية القرن 17م.

**2. قدوم اليارسي الى نهر الفولتا:**

فلقد كان الطريق الذي سلكوه بترحالهم يمر عبر بلاد شنقيط (موريتانيا) والسنغال وأعالي النيجر، ومالي وتحديدا مدينة تمبكتو، وعن طريقها وصلوا الى منطقة نهر الفولتا (بوركينا فاسو)، وذلك منذ حوالي القرن الحادي عشر ميلادي تقريباً. وكانت قبيلة مواغا(Moaga)(**[[14]](#footnote-15)**) في الوسط ومنطقة لبتاكو(liptako)**([[15]](#footnote-16)** (في الشمال، والتي يقطنها الفلانيون بأسبقية اعتناق الإسلام.

و لقد بدأ عدد اليارسي سزداد حتى كونوا جاليات حول الاسواق و القرى المهمة مثل كايا(Kaya) كومبيسيري (Kombissiri) راكاي (Rakaye) رويتينغا (Rouytenga)، وشيئا فشيا تخلُّوا عن لغةهم المندية و تبنُّوا لالغة المندي. و حسب الروايات فإن تجار اليارسي استقروا على شكل أئمة بالقرب من زعماء القبائل و الامراء، واستطاعواان يدخلوا الاسلام ملك الموسي نابا دولوغو(Naaba dulugu).

**3. اليارسي و حركة نشر الإسلام في واغادوغو:**

لما استقرت العائلات اليارسية الثلاثة بواغادوغو، قررت بداية الدعوة في صفوف العائلة الحاكمة، فبد زعيم اليارسي المدعو مور بتعليم القرآن و لكنه في نفس الوقت بدأ بممارسة مهنة حياكة الأقمشة و صناعة السراويل الملونة التي لم يكن يعرفها الموسي. و لكنه فيما بعد تخلى عن مهنة الحياكة و بدأ يسخر كل جهده من اجل تعليم القرآن، و الدعوة الملك و أحفاده إلى الإسلام.

اتبع اليارسي إستراتيجية محكمة للتقرب من ملك الياتنغا نابا دولوغو(Naaba Dulugu) حتى ينفذوا مشروعهم الإصلاحي، ألا و هي التزاوج مع العائلة الحاكمة الوثنية، فاليارسي لم يقوموا بالتزاوج مع العشائر المسلمة كليا، ولا مصاهرة العائلات الوثنية الغنية، وإنما مصاهرة الملك فقط، وفي ظروف استثنائية، وهي خلال إجراء مراسيم الرينغو(Ringu)(**[[16]](#footnote-17)**)، حيث استقبل الملك جماعة من اليارسي، و طلبوا منه ان يزوجهم احدى بناته، و كان هدف ملك الياتنغا من هذا الزواج هو تقريب اليارسي منه حتى يساهموا في تطوير المملكة اقتصاديا خاصة انهم معروفون بتحكمهم في التجارة و الطرق و المسالك و هو ما يساهم في حماية قوافل التجارية للمملكة، بالإضافة الى تحكمهم في صناعة القطن والنسيج و الزراعة، و هو ما ستستفيد منه المملكة.

و لقد استفاد اليارسي من هذه الصفقة حيث اصبحوا يحتلون مكانا مميزا في المملكة بحيث اعطيت لهم السيطرة على تجارة الملح في الشمال و تجارة الكولا و الذهب باتجاه الجنوب، و بذلك تطورت التجارة و انتعشت الزراعة و تربية الحيوانات في ربوع المملكة، ولكن النتيجة الأهم بالنسبة لليارسي هو نيلهم لمكانة تمكنهم من نشر الإسلام و تطبيق مشروعهم الإصلاحي الذي سوف ينطلق من نقطة قوة ألا و هي القصر الملكي.

و بسبب تحكم اليارسي في الوسائل التي سهلت لهم التجارة فلقد تبوؤوا مكانة مميزة وأصبحوا يشعرون بتفوق مقارنة بالموشي العاديين، الذين كانوا يتدحرجون في نفق الفقر، والخاضعين كلية لتقاليد ملوكهم، فالموشي كانوا ينتظرون من اليارسي أن علموهم الإسلام والتجارة، النظافة ويمدوهم بالكولا، و الملابس، و يختنون أبناءهم. فلقد ساهم شباب اليارسي في تطوير عقلية الموشيين.

وبهذا كسب اليارسي ثقة الملك و تبوؤوا مكانة في السلطة القضائية حيث منحهم الملك نابا دولوغو امتياز حق الشفاعة بحيث يمكنهم أن يتدخلوا لتبرئة أي شخص يتم الحكم عليه بالإعدام او السجن، كما حظوا بشعبية في صفوف الشعب بسبب مهارتهم في الحياكة والزراعة، و كذا صناعة الملابس و توزيعها على المعوزين.و بذلك فقد تمكنوا من إدخال الملك نابا دولوغو إلى الإسلام، و بالتالي انتشر الإسلام في صفوف الأسرة الحاكمة لكن بقية الرعية بقيت وثنية.

كان نابا دولوغو ملكا مسلما تقيا ، بنا المساجد في واغادو و في بعض القرى، كما عين بنفسه إماما خاصا بالعاصمة ، لكنه لم يفرض الإسلام بالقوة على الرعية، و قد أزاح ابنه ساوادوغو من ولاية العهد بسبب تحمسه لنشر الإسلام بالقوة، لكن هذا الأخير تمكن من الإطاحة بأبيه وتولى هو العرش. من 1828 الى غاية 1842م.

و في عهد ساوادوغو انتشر الإسلام و عرف مجده في بلاد الموسي ، كما تلقى ابنه حاليلو تعليما إسلاميا جيدا، و أصبح أول زعيم مسلم للموسي يصلي بانتظام و يصوم رمضان، وبنى المساجد بالقرب من قصره، كما تخلى عن وزرائه الذين كان إسلامهم سطحيا وعوضهم بوزراء أتقياء و متدينين. كما أرسل جميع أبنائه إلى المدارس القرآنية، ما عدا ابنه الأكبر الذي سيكون ملكا باسم موغ نابا سانم، والذي سيستقبل الرحالة الألماني بنغر (Binger).

أما في عهد الملك نابا كوم فقد تم إدخال سنة الختان للذكور و الإناث، و حتى زوجته يارغا قام بختانها، كما فرض الختان على كل النبلاء. و فسح المجال أكثر لليارسي بالاستقرار أكثر في مملكته، كما أرسل احدهم في بعثة للتعمق في شرائع الإسلام بمنطقة ساحل الذهب، وفي عهد أخيه نابا زومبري أسس مدينة كومبي سيري التي اتخذها اليارسي كنقطة انطلاق لنشر الإسلام في صفوف الموسي الوثنيين.

بعدما اهتموا بالتجارة فإن الدعوة إلى الإسلام وإصلاح الإسلام كانت أهم ميزة لليارسي، فكل الروايات الشفوية لموسي تصور اليارسي على أنهم أول من أدخل الإسلام إلى بلادهم، كما أن مصادر التاريخ تذكر بأن اليارسي دخلوا إلى بلاد الموسي عن طريق مالي و تنبكتو التي كانت تشكل أكبر مركز ثقافي و حضاري في السودان الغربي، وكانت تعرف حركة إصلاحية إسلامية. حيث حمل اليارسي رسالة مفادها أن الإسلام هو علم و هو حسن التصرف و حسن تدبير شؤون الحياة على شريعة الإسلام، الذي يتم اكتسابه بعد طول احتكاك بالمعلم او الفقيه في الأماكن المختارة.لهذا كان اليارسي يقومون بمهمة تعليم القرآن في أماكن محددة بعضهم يدرسون في أماكن تسمى بـكارن ـــ بوكو (Karen-boko) وتعني ثقب الدراسة(**[[17]](#footnote-18)**)، و عادة تكونى في اماكن معزولة، أو يطلق عليها اسم «كارن ــ دوغو (Karen-Doogo) و تعني الدراسة في البيت، و يقصد بها المدرسة.كما علم اليارسي الموسي الطهاة و الوضوء، و نهوهم عن تناول الجعة المصنوعة من الدخن، و التي محببة كثيرا لديهم و خاصة النساء.

و بمقابل تلك الامتيازات التي تحصل عليها اليارسي من الموشي فقد كان لديهم واجبات اتجاه ملكهم و مملكتهم، حيث قاموا بحماية (موغ ـــ نابا) أو الملك و كل إمبراطورتيه ضد الأعداء و القوى الخفية و السحرية ، لهذا كانوا كل جمعة يتقومون بمعالجته عن طريق تلاوة القرآن و الرقية الشرعية،المعروفة عندهم بمباركة الدوزي(Dossé).

و هكذا تغير الجو العام للقصر و احتفالاته و طقوسه، فبعدما كن الملك يحيط نفسه بالكهنة الوثنيين، الذين تغلب على مظاهرهم مناظر دماء القرابين و ريش الطيور، وشعر النساء، و أوبار الحيوانات، أصبحت طقوس و الاحتفالات تتخللها صفوف المصلين اليارسي المنتظمة، و النظيفة، حيث اختفت مظاهر ذبح الحيوانات القرابين في ساحة الملكى المقدسة.

**سادسا. نتائج الحركة الإسلامية لليارسي في بلاد الفولتا:**

من خلال هذا العرض يمكننا أن نخلص إلى مجموعة من النتائج أهمها:

إن الإسلام تأخر كثير في منطقة نهر الفولتا، و ذلك بسبب وجود ممالك و حضارة عريقة هناك و هي حضارة الممالك الوثنية التي في اعتقادي و من خلال ما توصلنا إليه من نصوص كان رجال الدين و الكهنة يلعبون دورا أساسيا في الحياة السياسية و حتى في اتخاذ القرارات المصيرية للدولة، و هو ما جعل الإسلام يتأخر في الولوج إلى تلك المنطقة إلى غاية مجيء طائفة اليارسي و الديولا عموما.

فرغم أن إمبراطورية سنغاي الإسلامية كانت خلال أواخر القرن15و بداية القرن16 الميلاديين كانت تتمتع بقوة مكنتها من فتح جل غرب إفريقيا ونشرت الإسلام فيها إلا أنها واجهت مقاومة شرسة من طرف ممالك الموشي التي انصاعت لقرارات كهنتها الرافضين لاعتناق الإسلام. فممالك نهر الفولتا رغم إنها كانت معزولة عن الديانات السماوية إلا إنها صنعت حضارة أساسها ديني قائمة على أصول دينية وثنية.

أما النتيجة الثانية فتبرز لنا خاصية انتشار الإسلام في أدغال إفريقيا الغربية، فلقد رأينا من خلال هذا البحث كيف تسربت طائفة اليارسي المسلمة إلى منطقة نهر الفولتا قادمة من منطقة الساحل انطلاقا متن موريتانيا والسنغال وصولا إلى نهر الفولتا، حيث تمكنت من الاستقرار هناك بين الشعوب الوثنية، مستفيدة من مهارات أفرادها التجارية و الصناعية و حتى تفوقها في شتى العلوم و شؤون الحياة، فتوغلت بهدوء إلى داخل القصر والأسرة الحاكمة الوثنية من خلال المصاهرة إلى أن تمكنت من إقناع ملك واغادوغو و هو نابا باعتناق مشروعهم الاصلاحبي و تبني الديانة الإسلامية التي تحولت إلى الديانة الرسمية للعائلة الحاكمة فغي واغادوغو. و هذه الطريقة تبقى الطريقة الأكثر نجاعة بالنسبة لانتشار الإسلام في غرب إفريقيا و خاصة من طرف طائفة التجار المتنقلين المعروفين بالديولا، و الذين تمكنوا بنفس هذه الطريقة نشر الإسلام في كوت ديفوار والكامرون و إفريقيا الوسطى.

كما تبين لنا من خلال هذا البحث بان حضارة ممالك النهر الفولتا أو ما يعرف بممالك الموشي أنها حضارات اصيلة و قديمة في المنطقة، وجدت قبل الإسلام على شكل حضارات وثنية بعيدة عن كل تأثير اجنبي الا أن هذه الحضارة كانت غنية بالقيم الروحية و الاخلاقية الراقية بعيدة عن الصورة المزيفة والاحكام المسبقة و الصور النمطية التي أطلقها الاوربييون على تاريخ هذه الشعوب، فلقد رأينا كيف كان الموشي يقدسون الاسرة و الحياة الاسرية، كما يحافظون على شرف المراة و يحرصون على تزويج بناتهم في سين مبكر، و كان الاوالد هو من يختار لابنته الرجل المناسب،كما حفظوا للزوجة حقوقها و مهرها، و نسبوا الطفل لوالده عكس الشعوب الافريقية الأخرى التي كانت تنسب الابن لامه، و هي قيم نبيلة تكذب كل تلك الصور التي أعطاها الاوربييون لهذه الشعوب على انها شعوب تعيش في حالة فوضى و انحلال و إباحية. لهذا نجد هذه الممالك سرعان ما اعتنقت المشروع الاصلاحي لليارسي الذي وجدوا فيه قواسم مشتركة مع قيمهم. لكن رغم ذلك بقيت بعض القيم الوثنية متجذرة فيهم و هذا يعود بالدرجة الاولى إلى مرحلة الاستعمار التي تعرضت اليها دولة فولتا العليا او ما يعرف اليوم ببوركينا فاسو، و النقص الدعوة والإرشاد في صفوف هذه الشعوب التي بقيت تحتفظ بالاسلام اسميا في غالب الأحيان.

خلاصة القول أن ممالك منطقة نهر الفولتا عموما و ممالك الموشي خاصة، قد تمكنت منذ تأسيسها من بناء حضارة أصيلة خاصة بها، بعيدة كل البعد عن أي تأثير خارجي، و ضلت تقاوم أي تاثير اجنبي و خاصة التاثير الإسلامي الذي بسط إشعاعه الحضاري على معظم السودان الغربي، لكن وصول جماعة التجارة المتنقلين من اليارسي، الذي حملوا معهم دين جديد ، و حملوا معهم تقنيات جديدة تمكنوا من كسب ثقة ملك الموشي و تبوؤوا مكانة في السلطة الموشية، كما حظوا بشعبية في صفوف الشعب بسبب مهارتهم في الحياكة والزراعة، و كذا صناعة الملابس و توزيعها على المعوزين، هو ما جعلهم ينفذون بالدين الإسلامي إلى داخل قصر النابا أولا ثم إلى بقية الأسر الموشية، و رغم تخوف الكهنة الوثنيين في ممالك الموشي من نفوذ اليارسي، حيث أخذوا يحرضون شعوبهم عليهم، كما أن ترحيب ملوك الموسي باليارسي خلف استياء عدة عائلات موشية، التي أخذت تناصبهم العداء، لكنهم لما اكتشفوا بأنهم لا يستطيعون محاربتهم بالقوة و العنف، أو تصفيتهم جسديا، فإنهم اقتنعوا بأنهم لا بد من التعايش معهم، و أيضا مصاهرتهم و تناسي خلافاتهم و بناء أواصر اجتماعية و هذا في إطار ما أطلق عليه اسم (داكورDakur) وهو التحالف عن طريق المزاح (.

لقد بقي السحرة و الكهنة يشعرون بحقد خفي على اليارسي لكنهم بقوا يخفونه،لأن اليارسي أبطلوا جميع حيلهم و خدعهم السحرية، و أفقدوهم قوتهم التي تمتعوا بها منذ قرون طويلة، و بهذا تمكن اليارسي من استكمال مشروعهم الإصلاحي في عمق المجتمع الموشي، و فامتزجت التقاليد الموشية، بالمبادئ الإسلامية، و خلفوا للعالم حضارة متميزة، فالأوربيين لم يعرفوا هذه الحضارة إلا في منتصف القرن19 ميلادي، فكان أول أوربي عرف مملكة واغادوغو كان في سنة 1985م، حيث وجد حضارة تختلف تماما عن تلك التي تحدث عنها محمود كعت والسعدي منذ أربعة قرون.

1. **() الماندينغ :** و يطلق عليهم أيضا اسم "مندي"، و "ماندينكا"، ويشكل الماندينغ القسم الأساسي لشعوب المجرى الأعلى لثلاثة أكبر الأنهار في إفريقيا الغربية و هي السنغال، غمبيا و النيجر. كما أنهم ينتشرون في كل منطقة السودان الغربي، و في جنوب السنغال، و في النيجر الأعلى انطلاقا من سواحل المحيط الأطلسي إلى غاية جمهورية نيجريا الحالية. حول شعب المانمدينغ أنظر:

   **Sik(André)**, Histoire de l’Afrique noire. Budapest, Hongrie, 1962, 2eme édition, tome1, p48 Niane (Temsir djibril) .Mise en place des populations de la la haute guinée. In Revue éthiopique, N°02, Avril, 1960, p40haute guinée. In Revue éthiopique, N°02, Avril, 1960, p40. [↑](#footnote-ref-2)
2. **() جبريل(تمسير نياني)،** مالي والتوسع الثاني للماندينغ. ضمن كتاب: ***تاريخ إفريقيا العام***، صادر عن منظمة اليونسكو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، 1988م، المجلد الرابع، ص129. [↑](#footnote-ref-3)
3. تقع على ضفة ثنية النيجر جنوب مدينة جني. )( [↑](#footnote-ref-4)
4. ()**Sansanne-Mango):** مدينة في جمهورية الكونغو الحالية من منطقة السافانا و هي مركز دائرة أوتي(oté) و يمر عليها نهر الكونغو الشهير. [↑](#footnote-ref-5)
5. **()**  Gonja : هي مملكة تقع في شمال جمهورية غانة الحالية كما تطلق على الشعب الذي يسكن هذه المملكة، ولقد ـاثر الكونجا بشعبي الاكان و شعب المندي. [↑](#footnote-ref-6)
6. () تقع مامبروسو أو مامبورسي(Mampursi) في الضفة اليسرى لنهر الفولتا الأبيض و يحتوي على مدينتين مركزيتين هما (وال-والي) و (كامباخا)كانت في عهد بنغر (أواخر القرن19) عبارة عن دولة صغيرة بحدها من الشمال الموسي، و محاطة من جهة الشمال الشرقي بشعب الغورمانشي(و هم فرع من الموسي أيضا) من الشرق يحدها البوسنكسي و من الغرب يحدها شعب الغورونتسي.( Binger,du Niger au golf du Guinéen : Op. Cit, Pp37,38. [↑](#footnote-ref-7)
7. مدينة صغيرة تفع شرق مامبروسي شمال جمهورية غانة الحالية. )( [↑](#footnote-ref-8)
8. **)(**Binger,du Niger au golf du Guinéen : Op. Cit, p912. [↑](#footnote-ref-9)
9. () هو أول ملك لمملكة مونغو و مؤسس عائلة سوما الطوغولية 1898م و تقول الروايات المحلية بأنه خاض حربا ضد مملكة كونجا في منطقة غورما(gourma) سنة1751م و انتصر عليهم و أسس أول مملكة في منطقة اوتي(oté [↑](#footnote-ref-10)
10. )يعد نبات الغومبو و هو فاكهة الباميا من اشهر الفواكه التي تستهلك بكثرة في الكونغو.( [↑](#footnote-ref-11)
11. () إن الخشب المقدس هو غابة أو أشجار يمنع الصيد أو السكن فيها، و ذلك لأسباب دينية أو عقدية، إن الأشجار المقدسة هي في العموم أماكن مخصصة لإقامة طقوس و مراسيم دينية. و تعتبر من طرف السكان الذين يحرسونها بمثابة ملجأ للأرواح والآلهة. و ما زالت هذه الغابات المقدسة تحظى باهتمام الأفارقة إلى اليوم رغم ضمن المجتمعات المسلمة. [↑](#footnote-ref-12)
12. **() السعدي (عبد الرحمان)،** مصدر سابق ، ص8. [↑](#footnote-ref-13)
13. () زمور حفيظة، مرجع سابق، ص39. [↑](#footnote-ref-14)
14. () مواغا هو مفرد موسي و هو الشعب الذي يكون اغلبية مملكة الموشي او الموسي. [↑](#footnote-ref-15)
15. () وفى ليبتاكو غورماهى منطقة تاريخية الواقعة فى الجزء الجنوبى الغربى من النيجر,'تمتد من بوركينا فاسو ومالي. [↑](#footnote-ref-16)
16. # () وهي مراسيم يتم فيها تنصيب ملك الموشي بصفته ريما(Rima)، أي إعطائه السلطة الملكية كملك شرعي للبلاد، بعدما يكون قد تم تنصيبه نابا(Naaba)، و تعني القائد أو الحاكم، حيث في هذه المراسيم يتم تحويله من مجرد قاد وحاكم إلى صفة سلطان شرعي للبلاد، و إعطائه صفة تانغازوكو (Tangazugu) أي مؤسس العشيرة الحاكمة.

    # ****Michel**** Izard, « De quelques paramètres de la souveraineté », Op.Cit

    [↑](#footnote-ref-17)
17. () يقصد بها تلك الحفر و الثقوب التي يتم حفرها لانشاء مناجم الذهب، و هي مناجم قديمة تستغل لهذه الاغراض التعليمية من طرف اليارسي. [↑](#footnote-ref-18)